

ذاكرة جماعية إماراتية

الكاتب



يوسف أبو لوز

في كتاب.. أمضى الشاعر والباحث والصحفي عياش يحيائي أكثر من خمسة عشر عاماً في الإمارات قدّم خلالها للساحة الثقافية المحلية العديد من المؤلفات التي تعود في روحها إلى بيئة الإمارات الأدبية والتراثية والتاريخية، وكان شغفه بالصحراء والجمال بشكل خاص ما يلتقي تماماً مع تكوينه الشخصي والثقافي الذي قام على هاتين البيئتين (الجمال والصحراء) في بلاده الجزائر، لا بل إن عرقاً بدوياً طيباً كان فيه وفي ذاته الأدبية والإنسانية يلتقي بمحبة عميقة مع قيم وثقافة أهل البادية والجمال والصحراء في الإمارات.

من أجمل الكتب التي عمل عليها عياش يحيائي (أول منزل) صدر في 2007 ويتضمن دراسة وحوارات تتصل بطفولة خمسين مثقفاً من الإمارات، وقد اختار يحيائي أن يبدأ حواراه مع هؤلاء الكتاب من مكان واحد هو البيت الأول الذي ولد فيه الكاتب شاعراً أو روائياً أو إن كان مسرحياً أو رسّاماً أو باحثاً في الثقافة.

كان يسأل عن شجرة البيت، وأبوابه، وحوشه، ونوافذه، والفريج الذي يقع فيه البيت، كان يسأل عن القصص الأولى في ذاكرة كل كاتب. قصص الطفولة والأب والأم والعائلة، ولم يكن في هذه الحوارات معنياً بالتنظير في الأدب والنفخ في مصطلحات كبيرة أو الاستعراض الثقافي، بل ما كان يهمّه هو صورة المنزل الأول للكاتب، والفضاء الذاكراتي والحيني لهذا المنزل. ومما عمّق روح هذا الكتاب أنه حصل على صور فوتوغرافية بالأبيض والأسود لبيوت شعبية قديمة في أحياء وفرجان قديمة.

الكتاب ليس مجرد حوارات، بل هو ذاكرة جماعية إذا أردت القول، وهو تاريخ شعبي فطري لمكان طفولة الإنسان وعلاقته بالأشياء والكائنات التي حوله من الأشجار إلى الحجارة إلى الأبواب إلى الأسوار، وفي الإطار المرئي البصري هذا تتلاقى وتتقاطع الكثير من الحكايات التي تشكل معاً سردية تراثية إماراتية بكل ما فيها من فطرة ثقافية ومكانية.

من عناوين الكتاب التي هي مبتدأ وخبر حكايات هذا الأفق الاجتماعي الإماراتي المبكر.. ما قاله الشاعر عبدالله الهدية، قال إن دموع عجوز شحيّة (من الشحوح) علّمتها الاستماع لنشرة الأخبار، أما الباحث عبيد بن صندل فقد طلب الرزق على الحمار والجمل وكان يرعى الغنم ويعمل في الدكاكين، ويتحدث الباحث عبدالله الطابور عن فريج (الميان) في رأس الخيمة ويذكر كيف كانت النسوة الكبيرات في السنّ يشرعن ليلاً في سرد الخرايف والحكايات، وكان عبدالرحمن حسن الشامسي يشرب من ماء المطر ويسقي أمّه منه، ويقول أحمد راشد ثاني إنه لم يشاهد وجهه في طفولته، ويقول الباحث عبد العزيز المسلم إن شجرة الرولة أ ورق تحتها تاريخ ثقافي شعبي بأكمله، وتتذكر نجاة مكي أيام الحصبة والصفراء والقطط التي لا تترك منزلاً إلا ودخلته

yabolouz@gmail.com

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024